صَيْحَةُ تَحْذِير

وَصَرْخَةُ نَذِيرٍ

لفضيلة الشيخ/الدكتور

محمد أحمد إسماعيل المقدم

عفا الله عنه

الدعوة السلفية

Omar_rahal2005@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العليم بخلقه ، القائل في محكم كتابه: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الملك: 14] . الرحيم بهم ، ون رحمته أنزل شريعته ناصحة لهم ، ومُصلحة لمفاسدهم ، ومُقوّمة لاعوجاجهم ، ومن ذلك ما شرع من التدابير الوقائية ، والإجراءات العلاجية التي تقطع دابر الفتنة بين الرجال والنساء ، وتُعين على اجتناب الموبقات رحمةً بهم ، وصيانة لأعراضهم ، وحماية لهم من خزي الدنيا وعذاب الآخرة .

وبيَّن لهم أن غايةَ الشيطان في هذا الباب أن يُوقع النوعين في حضيض الفحشاء!! لكنه يسلك في تزيينها ، والإغراء بها مسلك التدرج , عن طريق خطوات يقود بعضها إلى بعض ، وتُسلم الواحدة منها إلى الأخرى ، وهي المعنيَّة بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} [النور: 21].

والصلاة والسلام على الصادق الأمين , المبعوث رحمةً للعالمين ، القائل: " ما تركت بعدي فتنةً هي أضر على الرجال من النساء " [1] .

والقائل: " فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء " [2] ، الذي حذرنا من خطوات الشيطان إلى إشاعة الفساد , خصوصًا ما أضلَّ به كثيراً من العباد من تزيين التبرج ، وإشاعة الفاحشة ، وإطلاق البصر إلى ما حرَّم الله ، ومصافحة النساء الأجنبيات ، وسفر المرأة بدون مَحرَم ، وخروجها متطيبة متعطرة , وخضوعها بالقول للرجال ، وخلوتها بهم واختلاطها معهم.

---

(1) رواه من حديث أسامة بن زيد–رضي الله عنهما–البخاري ومسلم والترمذي .

(2) رواه من حديث أبي سعيد الخدري–رضي الله عنه–مسلم وابن ماجه .

وحول هاتين الأخريين: الخُلوة ، والاختلاط تدور هذه الرسالة تذكرةً لمن كان له قلب , أو ألقى السمعَ وهو شهيد , وتبصرة لمن خاف عذاب الآخرة ، {ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ} [هود: 103] .

محمد بن أحمد إسماعيل المقدم.

الإسكندرية

أولاً: الخلوة

ما هي الخلوة المحرمة ؟

هي أن ينفرد رجل بامرأة أجنبية [3] عنه ، في غيبة عن أعين الناس ، وهي من أفعال الجاهلية , وكبائر الذنوب .

ما هو الدليل على تحريمها ؟

* ما رواه ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: سمعت النبي ρ يخطب يقول: " لا يخلُونَّ رجلٌ بامرأة إلا ومعها ذو محرم " [4].

* وما رواه عامر بن ربيعة– رضي الله عنه– أن رسول الله ρ قال: " ألا لاَ يخلُونَّ رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان " [5] ، وهذا يعم جميع الرجال , ولو كانوا صالحين أو مسنين, وجميع النساء , ولو كنَّ صالحات أو عجائز .

وعن جابر– رضي الله عنه– أن النبي ρ قال: " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم منها , فإن ثالثهما الشيطان " [6] .

---

(3) المرأة الأجنبية: هي غير المحرمَ , والمحْرمَ: كل من حرم تزوجها على التأبيد , وتحريمها إما بالنسب , أو بالرضاع , أو بالمصاهرة , فالمحرمات بالنسب: الأمهات , ثم البنات , ثم الأخوات , ثم العمات , والخالات , ثم بنات الأخ , وبنات الأخت , ويحرم من الرضاع كل ما يحرم من النسب . أما المحرمات بسبب المصاهرة: فزوجة الأب , وزوجة الابن , وأمّ الزوجة (وهذه تحريم بمجرد العقد على ابنتها) , وبنت الزوجة (وهذه لا تحرم إلا بالدخول بالأم) .

وعلى هذا من الأجنبيات على الرجل ابنة كل من: عمه , وعمته , وخاله , وخالته .

وزوجة كل من: عمه , وخاله , وابن أخيه , وابن أخته , وكذا أخت زوجته وابنة الصديق والجار , وهكذا .

(4) رواه البخاري ومسلم .

(5) رواه أحمد والترمذي , وقال: " حسن صحيح " والحاكم , وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

(6) رواه أحمد .

* وعنه –رضي الله عنه–أيضاً عن النبي ρ قال: " لا تلجُو على المغيبات , فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم " (7) .

أي: لا تدخلوا على النساء اللاتي غاب أزواجهن , بسفر ونحوه .

وقد تكون القرابة إلى المرأة أو زوجها سبيلاً إلى سهولة الدخول عليها أو الخلوة بها , كابن العم وابن الخال مثلاً , ولذلك حذرنا النبي ρ من ذلك لأنه من مداخل الشيطان , ومسارب الفساد .

فعن عقبة بن عامر–رضي الله عنه–أن رسول الله ρ قال: " إياكم والدخول على النساء , فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله ! أفرأيت الحمو؟ قال: الحمو الموت " (8) .

والحمو هو قريب الزوج , الذي لا يحل للمرأة , كأخيه وابن عمه , فبيَّنَ النبي ρ أنه يفسد الحياة الزوجية , كما يُفسد الموت البدن .

قال الأبِّي–رحمه الله–: ((لا تُعرِّضُ المرأةُ نفسَها بالخلوة مع أحد , وإن قلّ الزمن , لعدم الأمن لاسيما مع فساد الزمن , والمرأة فتنة , إلا فيما جُبلت عليه النفوس من النفرة من محارم النسب)) (9) ا.هـ.

فالحمكة من تحريم الخلوة هي: سد الذّريعة إلى الفاحشة أو الاقتراب منها , حتى يظل المرء واقفاً على مسافة بعيدة قبل أن يفضي إلى حدود الجريمة الأصلية , {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا} [البقرة: 187] .

---

(7) رواه الترمذي .

(8) رواه البخاري ومسلم والترمذي .

(9) إكمال إكمال المعلم (436/3) .

ثانياً: الاختلاط

ماهو الاختلاط ؟

هو اجتماع الرجل بالمرأة التي ليست بمحرم له اجتماعاً يؤدي إلى ريبة , أو: هو اجتماع الرجال بالنساء غير المحارم في مكان واحد , يمكنهم فيه الاتصال فيما بينهم بالنظر , أو الإشارة , أو الكلام , أو البدن من غير حائل أو مانع يدفع الريبة والفساد .

ما هي أدلة تحريم الاختلاط ؟

أولاً: من القرآن الكريم:

* قول الله سبحانه وتعالى: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى} [الأحزاب:33] , فخير حجاب للمرأة بيتها .

* وقوله جلَّ وعلا: {وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ} [الأحزاب: 53] .

ثانياً: من السنة الشريفة:

* قول رسول الله ρ: " المرأة عورة , فإذا خرجت استشرفها الشيطان , وأقرب ما تكون من وجه ربها وهي في قعر بيتها " (10) .

* وعن أبي أسيد , مالك بن ربيعة–رضي الله عنه– أنه سمع رسول الله ρ , يقول وهو خارج من المسجد , وقد اختلط الرجال مع النساء في الطريق: " استأخِرن , فليس لكنّ أن تَحققن

(10) رواه الترمذي , وقال: "حسن غريب" وابن حبان , ورواه الطبراني في الكبير , وابن عدي واللفظ لهما .

الطريق , عليكن بحافات الطريق , فكانت المرأة تلصقُ بالجدار , حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به " (11) .

ومعنى تَحْقُقْنَ: أي تذهبن في حاق الطريق , وهو الوسط , كما في حديث أبي هريرة–رضي الله عنه– قال رسول الله ρ: " ليس للنساء وسط الطريق " (12) .

وقد أفرد ρ في المسجد باباً خاصًّا للنساء يدخلن , ويخَرجن منه , لا يُخالطهن , ولا يُشاركهن فيه الرجال .

فعن نافع عن ابن عمر– رضي الله عنهما– أن رسول الله ρ قال: " لو تركنا هذا الباب للنساء ؟ قال نافع: فلم يدخلمنه ابنُ عمر حتى مات " (13) .

وعن نافع مولى ابن عمر–رضي الله عنهما– قال: ((كان عمر بن الخطاب–رضي الله عنه– ينهى أن يُدخَل المسجد من باب النساء)) (14) .

* ومن ذلك: تشريعه للرجال إماماً ومؤتمين ألاَّ يخرجوا فور التسليم من الصلاة , إذا كان بالصفوف الأخيرة بالمسجد نساء , حتى يخرجن , وينصرفن إلى دورهن قبل الرجال , لكي لا يحصل الاختلاط بين الجنسين–ولو بدون قصد– إذا خرجوا جميعاً .

قال أبو داود في " سننه ": (باب إنصراف النساء قبل الرجال من الصلاة) , ثم ساق حديث أم سلمة–رضي الله عنها–قالت: "كان رسول الله ρ , إذا سلم مكث قليلاً , وكانوا يرون أن ذلك كيما يَنفذ النساء قبل الرجال " (15) .

---

(11) رواه أبو داود .

(12) رواه ابن حبان .

(13) رواه أبو داود .

(14) رواه أبو داود وإسناده منقطع .

(15) رواه أبو داود .

ورواه البخاري أيضاً , وفيه:

قال ابن شهاب: " فُترى–والله أعلم–لكي ينفذ من ينصرف من النساء قبل أن يدركهن من انصرف من القوم " (16) أي الرجال .

وعن أم سلمة–رضي الله عنها– قالت: "كانَ يُسلِّم فينصرفُ النساء فيدخلن بيوتهن من قبل أن ينصرف رسول الله ρ " (17) .

وروي النسائي: " أن نساء كنَّ إذا سلّمن قمنَ , وثبت رسول الله ρ , ومن صلى من الرجال ما شاء الله , فإذا قام رسول الله ρ , قام الرجال " (18) .

قال الحافظ ابن حجر: " وفي الحديث... كراهة مخالطة الرجال للنساء في الطرقات , فضلاً عن البيوت " (19) اهـ .

* وعن أم حميد الساعدية , أنها جاءت إلى رسول الله ρ فقالت: يا رسول الله إني أحبُّ الصلاة معك !! فقال: " قد علمت أنكِ تُحبّين الصلاة معي , وصلاتك في بيتك خير لك من صلاتك في حجرتك , وصلاتك في حجرتك خير لك من صلاتك في دارك , وصلاتك في دارك خير لك من صلاتك في مسجد قومك , وصلاتك في مسجد قومك خير لك من صلاتك في مسجدي " (20) .

---

(16) رواه البخاري .

(17) رواه البخاري .

(18) انظر: فتح الباري (336/2) .

(19) فتح الباري (336/2) .

(20) رواه أحمد والطبراني , وابن خزيمة , وابن حبان .

وعن عبد الله بن عمر–رضي الله عنهما–أن رسول الله ρ قال: " لا تمنعوا النساء أن يخرجن إلى المساجد , وبيوتهن خير لهن " (21) .

وعن أبي هريرة–رضي الله عنه–قال: قال رسول الله ρ: " خير صفوف الرجال أولها , وشرّها آخرها , وخير صفوف النساء آخرها , وشرّها أولها " (22) .

وهذا كله في حال العبادة والصلاة التي يكون فيها المسلم أو المسلمة أبعد ما يكون عن وسوسة الشيطان وإغوائه , فكيف بما عداها ؟! .

عن ابن عباس–رضي الله عنهما–قال: " شهدت الفطر مع النبي ρ , وأبي بكر , وعمر , وعثمان–رضي الله عنهم– يصلون قبل الخطبة , ثم يخطب بعد , خرج النبي ρ كأني أنظر إليه حين يُجَلِّسُ بيده , ثم أقبل يشقهم حتى جاء النساء " (23) . الحديث .

وفي رواية مسلم: " يُجَلِّسُ الرجال بيده " , وذلك كي لا يختلطوا بالنساء .

ولقد حرصت الصحابيات على عدم الاختلاط حتى في أشدّ المساجد زحاماً , وفي أشد الأوقات زحامًا , موسم الحج بالمسجد الحرام .

فلقد كانت أم المؤمنين عائشة–رضي الله عنها– تطوف محجوزاً بينها وبين الرجال بثوب , لا تخالطهم , فقالت لها امرأة: " انطلقي نستلم يا أم المؤمنين " تعني: هيَّا نقبل الحجر الأسود , فقالت لها: عنكِ وأبت (24) , يعني حتى لا تخالط الرجال .

وكانت النساء في عهده ρ , إذا أردن دخول الكعبة المشرفة , يقفن إلى أن يخرج الرجال , ثم يدخلن إذا خرجوا .

---

(21) رواه أحمد وأبو داود .

(22) رواه مسلم , وأبو داود , والترمذي , والنسائي .

(23) رواه الشيخان .

(24) رواه البخاري .

ودخلت على عائشة–رضي الله عنها– مولاة لها , فقالت لها: " يا أمّ المؤمنين , طُفْتُ بالبيت سبعاً , واستلمتُ الركن مرتين أو ثلاثاً " , فقالت لها عائشة–رضي الله عنها–: لا آجَرَكِ الله , تدافعين الرجال ؟! ألا كبَّرتِ , ومررتِ ؟! " (25) .

وعن إبراهيم النخعي , قال: " نهى عمر أن يطوف الرجال مع النساء , قال: فرأى رجلاً معهن فضربه بالدِّرّةِ (26) , والدِّرّةِ: التي يُضربُ بها .

ولقد حطَّ الله عن النساء الجمعة , والجماعة , والجهاد , وجعل جهادهن لا شوكة فيه , وهو الحج المبرور , من أجل أن أفضل أحوالهن الستر والقرار في البيوت , وأداء رسالتهن السامية من وراءِ الحجاب .

من ثمرات الاختلاط :

قال الإمام ابن القيم الجوزية– رحمه الله–:

" ولا ريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال أصل كل بلية وشرّ , وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة , كما أنه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة , واختلاط الرجال بالنساء سبب لكثرة الفواحش والزنا , وهو من أسباب الموت العام , والطواعين المتصلة " (27) اهـ .

أضف إلى هذا شيوع الطّلاق , وتفشّي التبرّج بالزينة , وانعدام الغيرة , واضمحلال الحياء , وفساد الأخلاق , وتعسير غضّ البصر , وتيسير زنا العين , والتسبب في بلاء العشق الذي يتلف الدنيا والدين .

---

(25) رواه الإمام الشافعي في مسنده .

(26) عزاه الحافظ إلى الفاكهاني كما في الفتح (480/3) .

(27) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية (ص281) .

من صور الاختلاط الحرم:

1- **اختلاط الأولاد الذكور والإناث- ولو كانوا إخوة بعد التمييز في المضاجع** ، فقد أمر النبي ρ ، بالتفريق بينهم في المضاجع .

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما-قال رسول الله ρ: " مُرُوا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرِّقوا بينهم في المضاجع " (28)

2- **اتخاذ الخدم الرجال ، واختلاطهم بالنساء وحصول الخلوة بهن** ، رُوى في بعض الآثار أن فاطمة-عليها السلام- لما ناولت ابنها أنسًا قال: " رأيت كفًّا " (29) يعني أنه لم يَرَ وجهًا ، وقد كان أنس-رضي الله عنه- خادماً للنبي ρ وكان يعيش عنده كأحد من أهله .

3- **اتخاذ الخادمات اللائي يبقين بدون محارم ، وقد تحصل بهن الخلوة .**

4- **السماح للخطيبين بالمصاحبة والمخالطة التي تجر إلى الخلوة** ، ثم إلى ما لا تحمده عقباه ، فيقع العبث بأعراض الناس بحجة التعارف ومدارسة بعضهم بعضًا .

5- **استقبال المرأة أقارب زوجها الأجانب ، أو أصدقائه في حال غيابه ، ومجالستهم .**

6- **الختلاط في دور التعليم ، كالمدراس والجامعات والمعاهد والدروس الخصوصية .**

7- **الاختلاط في الوظائف** ، والأندية ، والموصلات ، والأسواق ، والمستشفيات ، والزيارات بين الجيران ، والأعراس ، والحفلات .

8- **الخلوة في أي مكان ولو بصفة مؤقتة كالمصاعد ،** والمكاتب ، والعيادات وغيرها .

فيا أولياء النساء والزوجات والبنات:

---

(28) رواه أبو داود .

(29) انظر: تكملة فتح القدير (98/8) .

تـذكروا: أنكـم موقوفـون بـين يـدي الله تعـالى غـداً ، ومسـؤولون عـنهن ، قـال رسـول الله ρ: " الرجل راعٍ على أهله وهو مسؤول عن رعيته " .

احذروا: " الخلوة ، والاختلاط ، والتبرج " فإنها والزنى رفيقان لا يفترقان ، وصنوان لا ينفصمان غالباً .

واعلمـوا: أن الستر والصيانة هما أعظم عون على العفاف والحصانة ، وأن احترام القيود التي شرعها الإسلام في علاقة الجنسين هو صمام الأمن من الفتنة والعار ، والفضيحة والخزي .

احذروا: أجهزة الفساد السمعية منها والبصرية التي تغزوكم في عقر داركم ، وهي تدعو نسائكم وأبناءكم إلى الافتتان ، وتُضعفُ منهم الإيمان ، وقد قيل: حسبك من شرٍّ سماعُه ، فكيف رؤيته؟! صونوا بناتكم وزوجاتكم ولا تتهاونوا فتعرضوهن للأجانب .

إن الرجال الناظرين إلى النسا مثل السباع تطوف باللحمان .
إن لم تصن تلك اللحوم أسودها أُكلت بلا عوضٍ ولا أثمان .

إن الأعراض إذا لم تُصنْ بهذه الحصون والقلاع ، ولم تحصن بالأسوار والسدود ، فتسقط–لا محالة– أمام هذه الهجمة الشرسة ، ويقع المحظور ، ولا ينفع حينئذ بكاء ولا ندم ، والتبعة كل التبعة ، واللوم أولاً وأخيراً على وليّ البنت الذي ألقى الحبل على غاربه ، وأرخى لابنته العنان ، فيداه أوكتا ، وفوه نفخ:

نعبَ الغرابُ بما كره ولا إزالة للقدر .
تبكي وأنت قتلتها اصبرو إلا فانتحر .

* * *

أتبكي على لبنى وأنت قتلتها لقد ذهبت لبنى فما أنت صانع ؟!

فتش عن الثغرة:

إن جعبة الباحثين والدارسين لظاهرة الاختلاط حافلة بالمآسي المخزية ، والفضائح المشينة ، التي تمثل صفعة قوية في وجه كل من يجادل في الحق بعدما تبين .

وإن الإحصائيات الواقعية في كل البلاد التي فيها الاختلاط ناطقة بل صارخة بخطر الاختلاط على الدنيا والدين ، لخصها العلامة/ أحمد وفيق باشا العثماني ، الذي كان سريع الخاطر ، حاضر الجواب عندما سأله بعض عُشَرائه من رجال السياسة في أوربا ، في مجلس بإحدى تلك العواصم قائلاً: (لماذا تبقى نساء الشرق محتجبات في بيوتهن مدى حياتهن ، من غير أن يخالطن الرجال ، ويغشين مجامعهن؟) ..

فأجابه في الحال قائلاً: (لأنهن لا يرغبن أن يلدن من غير أزواجهن) .

وكان هذا الجواب كصب ماء بارد على رأس هذا السائل ، فسكت على مضض كأنه ألقم الحجر[30].

ولما وفعت فتنة الاختلاط بالجامعة المصرية ، كان ما كان من حوادث يندى لها الجبين ، ولما سئل " طه حسين " عن رأيه في هذا ، قال: (لابد من ضحايا [1] ! ، ولكنه لم يبين: "بماذا" تكون التضحية ؟ و" في سبيل ماذا " لابد من ضحايا ؟! .

وأي ثمرة ممكن أن تكون أغلى وأعز وأثمن من أعراض المسلمين .

فتبًّا لهؤلاء المستغربين ، وسحقاً سحقاً لعبيد المدنية الزائفة الذين أطلقوا لبناتهم ونسائهم العنان يسافرون دون محرم ، ويخلون بالرجال الأجانب ، مُدَّعين أن الظروف تغيرت ، وأن نا اكتسبته المرأة من التعليم ، وما أخذته من الحرية يجعلها موضع ثقة أبيها وزوجها ، فما هذا إلا فكر خبيث دَلَفَ إلينا ليفسد حياتنا ، وما هي إلا حجج واهية ينطق بها الشيطان على ألسنة هؤلاء الذين يتهاونون في الخلوة والاختلاط الآثم بدعوى أنهم رُبُّوا على الاستجابة لنداء

(30) الفتن للبيافوني (ص214) .

الفضيلة ورعاية الخلق ، مثل قوم وضعوا كمية من البارود بجانب نار متوقدة ، ثم ادعوا أن الانفجار لا يكون لأن على البارود تحذيراً من الاشتعال والاحتراق ... إن هذا خيال بعيد عن الواقع ، ومغالطة للنفس ، وطبيعة الحياة وأحداثها .

والآن نستطيع- بكل قوة – أن نجزم بحقيقة لا مراء فيها ، وهي أنك إذا وقفت على جريمة فيها نهش العرض ، وذبح العفاف ، وأهدر الشرف ، ثم فتشت عن الخيوط الأولى التي نسجت الجريمة ، وسهَّلت سبيلها ، فإنك حتمًا ستجد أن هناك ثغرة حصلت في الأسلاك الشائكة التي وضعتها الشريعة الإسلامية بين الرجال والنساء ، ومن خلال هذه الثغرة ... دخل الشيطان! وصدق الله العظيم:{وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (27) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا (28)} [النساء:27-28] .

تمت الرسالة والحمد لله رب العالمين .

وجزى الله خيراً كلَّ من نشرها ، وأذاعها نصيحة للمسلمين ، وقد قال رسول الله ρ: " **الدال على الخير كفاعله** " .